

غرائب الهند في ملاحظات الرحالة محمد ناصر العبودي

حمزة علي. أ. بي. ١

د. تاج الدين المناني ٢

المدخل

وقد قام العرب برحلات إلى الهند منذ القدم لاكتشاف تراث الهند وعاداتها وتقاليدها وعيشة أهلها وغرائبها وعجائبها ، وسجلوا ملاحظاتهم ومذكراتهم وفيها أخبار ومشاهد وأوصاف وتعليقات ، ودونوا معلومات الرحلة موجزة ثم قاموا بتهذيبها وصوغها بأسلوب جميل جذاب. واستمروا في رحلاتهم إلى الهند حتى في العصر الحديث ، وحاولوا في تقدم الإكتشافات الجغرافية والتاريخية والإجتماعية والدينية والثقافية التي علقته بالهند وفي تصوير مختلف جوانب الحياة في شبه القارة الهندية. ومن أهم الرحالين العرب في العصر الحديث الذين زاروا الهند هم محمد ناصر العبودي وأنيس منصور و خليل النعيمي وعبد الوهاب العمراني. وسعد القرش ونوال السعداوي وجواد البيضاوي ووارد بدر السالم وغيرهم. فمن أهداف هذه المقالة أن تحلل مذكرات محمد ناصر العبودي عن الهند وأن تكتشف الغرائب من عادات الهند وثقافتها وتقاليدها ومن حياة الهنود. وهذه الدراسة تقوم بإقناع القراء الهنود الذين يرغبون عن أحوال الهند في منظور الأجانب وغير الهنود.

الكلمات المفتاحية: رحلة – الهند- غرائب – محمد ناصر العبودي

-
- ١ باحث في جامعة كيرالا- ترفاندرام وأستاذ مساعد، قسم البحوث والماجستير للغة العربية ، كلية أم إي أس ممباد
- ٢ مشرف ورئيس قسم اللغة العربية، جامعة كيرالا- ترفاندرام، كيرالا، الهند



محمد ناصر العبودي : عميد أدب الرحلة العربي المعاصر

وهو أديب ومؤلف ورحالة سعودي ولد في مدينة بريدة^٣ من نجد في ٣٠ ربيع الأخرى ١٤٣٥ هـ / ١٩٣٠ م.، وهو ينتمي الى أسرة آل سالم الشهيرة في بريدة. وبدأ حياته العملية كمدرس في المدرسة الفيصلية ببريدة ثم عيّن مدير المعهد العلمي ببريدة وانتقل الى شتى المناصب العالية مثلما صار معلما في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وأميناً عاما للجامعة الإسلامية . وحظي بمصاحبة زملاءه العباقره في الجامعة أمثل الشيخ عبد العزيز بن باز^٤، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني^٥ والشيخ أبو الحسن الندوي والشيخ حماد الأنصاري^٦ وغيرهم. وشرع حياته في رابطة العالم الإسلامي بتولية منصب الأمين

٣ بريدة في مدينة ومقر الإمارة في منطقة القصيم في المملكة العربية السعودية وأكبر مدنها.

٤ عبد العزيز بن عبد الله الباز (١٩١٠-١٩٩٩م) قاض وفقه سعودي ومفتي عام في المملكة العربية السعودية منذ عام ١٩٩٢ حتى وفاته.

٥ محمد ناصر الدين الألباني (١٩١٤-١٩٩٩م) الإمام والمحدث وباحث في الحديث ، له الكثير من الكتب والمصنفات في علم الحديث.

٦ عالم ومحدث شهير ولد في مالي من أفريقيا ، وخرج من بلده مهاجرا بسبب الإستعمار الفرنسي وتوجه الى الحرمين وصار عالما في الحديث

العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي . وأثناء عمله أتيح الفرصة لزيارة معظم بلدان في العالم، فشرع يكتب في أدب الرحلة . ونال ميدالية الإستحقاق عام ١٩٧٤ م.

وله أكثر من ٢٠٠ كتاب (١٢٨ مطبوعة ، ١٠٠ مخطوطة)، وله مؤلفات في اللغة برغم انه يقوم بتعليم الشريعة الإسلامية ، وله ١٥ كتابا في الدعوة الإسلامية ونفس العدد في الأدب واللغة. والف مؤلفات موسوعية مثل المعجم الجغرافي لبلاد القصيم (٦ مجلدات) والأمثال العامية في نجد (٥ مجلدات) ومعجم أسربريدة (٢٣ مجلدا).

ومعظم مؤلفاته في مجال أدب الرحلة لأنه زار معظم البلدان والقارات في العالم وقام بالرحلات الأفريقية ورحلات في القارة الأوروبية والرحلات الهندية والبلدان الآسيوية الأخرى ورحلات في القارة الأمريكية الجنوبية والشمالية والرحلات الصينية والرحلات الكريبية والرحلات البلقانية ورحلات الى أستراليا وجنوب المحيط الهادي والرحلات الى الأمريكية الوسطى وجنوب روسيا ونحوها. وبصدد رحلاته الى الهند الف العبودي بعض الكتب مثل سياحة في كشمير، ومقال عن بلاد البنغال، وغرب الهند، وشمال شرق الهند، ووسط الهند، وراجستان : بلاد الملوك وحديث عن المسلمين، ونظرات في شمال الهند ، الإعتبار في السفر الى مليبار، وجنوب الهند ، وأقصى شرق الهند

غرائب الهند في منظور محمد ناصر العبودي :

ويصف عن الهند بقوله «أعجوبة العجائب وغريبة الغرائب» بعدما زار الهند وأقاليمها ويشارك مع القراء بعضا من الغرائب والعجائب من تجاربه وملاحظاته الهندية ، ومن أهمها :

الحياة في أرياف الهند : ويلاحظ العبودي أن معظم الناس في الأرياف الهندية «يعيشون معيشة يصح أن توصف بأنها أقل من القليل من الحياة التي يراد بها التمتع بما في الحياة الدنيا من مأكّل ومشرب وملبس ومسكن»^٧، حتى أن الرجال في معظم الأرياف يلبسون فوطة صغيرة لكي يستر عورته لإجل عدم غيرها. ومن المشاكل التي يواجه الهنود في القرى عدم وجود المياه حسب الحاجات حتى رأي المؤلف «أنهم لا يتمتعون حتى بشرب

٧ العبودي ، محمد بن ناصر، ١٩٩٧، نظرات في شمال الهند، مكتبة الملك فؤاد : السعودية ، ص: ٢٣

الماء النقي أو الذي يبدو نقياً، وإنما يشربون من بقايا ما تخلفه الأمطار أو تحفظه الأرض الطينية من مياه، وبعض تلك المياه في الحفر أو البرك الطبيعية غير المعنى بها تتغير حتى يصبح ماؤها أخضر اللون، ومع ذلك يستقي الناس منها الماء»^٨. أما العائلات من النساء لا ينجزن من العمل ما ينجزه الرجال فيظهر الفقر والعوز فيهن أكثر من الرجال.

الحياة على أرصفة الشوارع: ومن المناظر الغربية التي لا نراها إلا في الهند هو الحياة على أرصفة الشوارع ، كما لاحظها المؤلف «وقد رأيت في الهند وبخاصة في مدينة بومبي شيئاً لم أراه في أي مكان آخر من العالم وهو مساكن الأرصفة التي تتمثل في أن طائفة من الناس يعيشون طول حياتهم على أرصفة الشوارع ليس لهم من المساكن إلا خشية أو قطعة من الورق المقوى (الكرتون) يفتروشونها أو يجعلونها كالصندوق الكبير الذي يسترهم وأما مكان قضاء حاجاتهم فإنه الأماكن العامة، وأما الطعام فإنه ما تيسر، وأما اللباس فإنه الذي على الجلد ليس غير»^٩. برغم ان الهندود صاروا خبراء في البحوث العلمية المتقدمة وفي صناعة الصواريخ البعيدة والطائرات النفاثة والدبابات ، بل يهتمون كل عنايتهم للقوة والتفوق على دول أخرى في المجالات العسكرية المهمة.

عظمة البقرة: وهو يصف عن عظمة البقرة عند بعض الهندود قائلاً: «الهند مشهورة بأنها البلاد التي تعبد البقرة، أنه كانت في زمان الأنكليز وحكمهم الهند تحدث مذابح طائفية فاجعة بسبب البقرة، فالمسلمون في الهند يحبون أن يذبحوا البقرة ويأكلوا لحمها ، والهنداكة لا يحتملون ذلك، وكيف يحتمل المرء أن يرى معبوده يذبح ويؤكل !! على أنهم لم يستعملوا عقولهم وإلا كيف تعبد أو تقدس من لا يستطيع أن يدفع عن نفسه الذبح». حتى الآن البقرة معظمة في الهند ، يلطخ الناس أو بعضهم أجسادهم بروثها ويشربون أبقوالها ويستشفون بذلك^{١٠}. ومن المعجب في تعظيم البقرة عند بعض الهندود أنهم يقومون بشرب أبقوالها ويتمسحون بها يتبركون بذلك. ويشير العبودي إلى أن كثيراً من المذابح الطائفية بين المسلمين والهنداكة في الهند يكون سببها البقرة، «فالمسلمون يذبحون البقرة خفية ويأكلون لحمها، وكثيراً ما يستعملون ذلك بالأضحية ، والهنداكة

٨ المصدر السابق، ص ٢٣

٩ المصدر السابق ، ص ٢٤

١٠ العبودي ، محمد بن ناصر، ١٩٩٧، نظرات في شمال الهند ، مكتبة الملك فؤاد : السعودية ، ص :١٧-١٨

لا يطيقون ذلك ، حتى يصل الأمر بهم إلى أن يقتلوا من عرفوا أنه قتل البقرة» ١١ .
ومرة عندما رأى العبودي كثرة الأبقار في الطرق سأل سائقه عما يستفيدة الهنادكة من الأبقار لأنهم لا يأكلونها ؟ فأجاب : «يشربون ألبانها وينتفعون بزبدها ويوقدون بأرواثها ويستعملون الثيران منها في الحرث والتنقل ، ثم هم يبيعون البقر لمن يدفع ثمنها ، وهم لا يذبحونها وإذا ماتت حنفت أنفها دفنوها كما يدفن الآدمي إذا مات عند غيرهم ، أما هم فإنهم يحرقون موتاهم ، ولا يدفنونهم ، وربما كانوا يفعلهم هذا يفضلون المصير الأكرم لجسد البقرة» ١٢ .

المحافظة على التقليد: من الأجدر بالقول ان الهنود معتنين بالمحافظة على التقاليد وعلى عاداتهم القديمة عمياء. هذه التقاليد واضحة حتى في ألوان الملابس وألوان البيوت والمعاملات مع الآخرين. وان الأمر الذي أعجبني في الهند «أن الفقير لا ينظر إلى الغني نظرة حسد أو يعصى أوامرهم ويخالفه لمجرد كونه أغنى منه، بل إن الفقير يتعامل مع فقره وغنى الغني كما لو كان ذلك قدرا متاحا يجب التسليم به، وعدم النفور منه» ١٣ .

التسول (الشحاذة): نرى التسول في المدن الكبيرة الهندية وأماكن يجتمع فيها الناس ، فإن الهنود «لهم عادات وأخلاق محمودة في التعامل مع الآخرين الذين لا يسيئون إليهم ، فهم لا يؤذون الغريب إلا بشيء واحد في المدن وهو «الشحاذة» والتسول فإن السائلين منهم يسألونه ويلحفونه في ذلك ولا ينصرفون عنه حتى يعطيهم شيئا وحتى يكذبوا صفوه» ١٤ .
ولكن في الأيام الحديث صارت قليلا بالنسبة إلى تاريخه الأول ، «التسول المنتشر في الهند هو الآن أقل مما كان في المرة الأولى وليس معنى ذلك أنه انتهى ولكنها قلة نسبية» ١٥ .

التعامل مع الآخرين: نرى في تعامل الهنود مع الآخرين وبخاصة الأجانب درجة رفيعة من الرقي والتهديب .

المرأة في الهند: في رأي الكاتب ان المرء في الهند كانت مظلومة منذ القدم، بل

١١ المصدر السابق، ص ٢٩ .

١٢ العبودي ، محمد بن ناصر ، ١٩٩٧ ، في شرق الهند، مكتبة الملك فؤاد : السعودية ، ص : ٨١

١٣ العبودي ، محمد بن ناصر ، ١٩٩٧ ، في جنوب الهند، مكتبة الملك فؤاد : السعودية ، ص : ٢٩

١٤ المصدر السابق : ص ٢٩

١٥ العبودي ، محمد بن ناصر ، ١٩٩٧ ، في جنوب الهند، مكتبة الملك فؤاد : السعودية .

هذا الظلم « أعظم من أي ظلم يقع على أية امرأة في العالم الذي قرأنا أخباره وآثاره في القديم، ومن ذلك أن زوجها إذا مات كان عليها أن تدخل النار التي تحرق بها حثته وحرق الميت^{١٦} أمرواق حتى الآن»^{١٧}. ويشارك الكاتب عما قرأ من المقالات صدرت في الهند وراء هذا التقاليد القبيحة إن المتزوجات التي مات أزواجهن عنهن «بقين دون زواج إما أن تصبح عاهرا أي تحترف الزنا أو تمارسه أو أن تبقي شقية محرومة طول حياتها ، ولا أحد يريد أن ينفق عليها، فتكون محرومة أيضا من متعة اللباس الجيد»^{١٨}. لقد استمرت هذه العادة معمولا في الهند حتى عارضها بعض المصلحين مثل راجارام موهن راي^{١٩} ، وحتى استولى الأنكليز على الهند فمنعوا هذه العادة بالقوة ، وحتى استقلت الهند فأبقت الحكومة الهندية الوطنية برئاسة جواهرلال نهرو على المنع ، ولكن كان يمارس سرا في بعض الحالات. حاليا تعمل المرأة الهندية وظائف كبيرة مع المحافظة على العادات والتقاليد القديمة التي يحافظ عليها أكثرية الهنادكة. ومن عادة الهنود أنهم «يختارون المرأة على الرجل لخص أجرتها بالنسبة للرجل ولقلة الآلات والأدوات الحديدية التي تستعمل في البناء»^{٢٠}.

تلوث الهواء في المدن: ويلاحظ أيضا ان المدن الهندية مليئة بتلوث الهواء لأن الحافلات ودراجات المحرك التي تسير بالديزل كثيرة في شوارعها وطرقها ، « ولا يلتزمون بأن يرفعوا أنبوب الأدخنة التي تخرج من الحافلات والشاحنات إلى أعلى حتى يكفوا الناس شره، بل هم يتركونها في أسفل السيارة تلوث الهواء وتدخل دخانها إلى صدور الناس »^{٢١} . واما أسباب تلوث الهواء في القرى التي لا توجد فيها سيارات ومركبات تنفث الأدخنة والمصانع التي تخرج المياه الملوثة والريحة القبيحة، هي «الوقود على الطعام بالروث وبالخطب الذي يكون رطبا في بعض الأوقات، ومن ذلك أخطاء البقر والجاموس التي ينشرونها في

١٦ وهي عادة ستي ، وهي إحراق المرأة جسمها عقب موت زوجها وإحراق جسمه ، ولا حق لها أن تعيش بعد موت زوجها.

١٧ العبودي ، محمد بن ناصر، ١٩٩٧، نظرات في شمال الهند ، مكتبة الملك فؤاد : السعودية ، ص : ٣٠

١٨ العبودي ، محمد بن ناصر، ١٩٩٧، نظرات في شمال الهند ، مكتبة الملك فؤاد : السعودية ، ص : ٣١

١٩ هو أحد المصلحين في الديانة الهندوكية، وأنشأ حركة جديدة معروفة فيما بعد باسم برهما سماج، كانت تهدف إلى تطهير الديانة الهندوكية ونشر عقيدة التوحيد.

٢٠ العبودي ، محمد بن ناصر، ١٩٩٧، في جنوب الهند، مكتبة الملك فؤاد : السعودية . ص : ١١١

٢١ المصدر السابق . ص : ٣٢

الشمس من أجل أن تيبس، ثم يجمعونها كما رأيتها في أرياف عدد من الولايات على هيئة هرم يتخلله الهواء، ثم يستعملونها في الوقود وإنضاج الطعام»^{٢٢}. «أما الآن فإن الحديث عن مثل هذه الأمور قد صار كالحديث في أعماق التاريخ عند الأجيال الصاعدة التي لا تعرف استعمال روث الحيوان لإيقاد الطبخ بل ولا تتصوره لأن الناس صاروا يستعملون الغز النظيف المنضج والله الحمد»^{٢٣}.

الغرام باللفل والحار: ويقول الكاتب ان الغريب عندما وصل إلى الهند لا يستطيع أن يتناول الطعام بكثرة الفلفل والبهار الحار. وهو يندهش في الغرابة في الأطعمة الهندية: «وكان عشاء الفندق حساء من العدس شديد الحرارة، لأنهم أكثروا فيه من الفلفل رغم كوني أخبرتهم أنني لا أطيق الفلفل في طعامي، وكونهم وعدوني بعدم وضع الفلفل فيه. كما جاؤوا بالأرز معه الكاري، وهو المرق الهندي الثقيل الذي خلطوا عدة توابل فيه وطحنوها، فصارت ثقيلًا مليئًا باللفل الحار، يضعون عليه الزيت أو دهن اللحم». إن أهل الهند كلهم يتناولون الفلفل والحار من أقصاها في الشمال إلى أقصاها في الجنوب أي من كشمير إلى كيرالا، فيقول: «إنني لم أر أهل الهند كلهم يتفقون إلى على شيئين، أولهما: الغرام باللفل والحار. والثاني: هز الرأس يمينا ويسارا عند الموافقة، أو الاستحسان للشيء»^{٢٤}.

قتل الإنسان وعدم قتل الحيوان: يذهب الكتاب إلى أن بعض الحيوان أشرف عندهم أكثر من الإنسان أو صارت درجة الإنسان منحططة إلى رتبة الحيوانات. ومن عجائب الهند وغرائبها «أن الذي يقتل البقرة يقتله الهنادكة المتعصبون، ومذهبهم في عدم قتل الحيوان مطرد حتى الحيوان الضار كالحية والعقرب فإنهم لا يقتلون شيئًا منها، وكذلك الطيور حتى الضارة المكروهة كالغريبان»^{٢٥}. ويذكر المؤلف بعض الأخبار التي وردت فيها وأد البنات في الهند «أفادت التقارير الواردة من والية بهار بأن ألؤفا من البنات تقتل بعد مولدها مباشرة سنويا، والأمر المثير للإستعجاب هو أن هذا الواد يتم بين العائلات الغنية أكثر مما يقع في العائلات الفقيرة، ويتم قتلها بالقاء الملح في فمها

٢٢ العبودي، محمد بن ناصر، ١٩٩٧، في جنوب الهند، مكتبة الملك فؤاد: السعودية. ص: ٣٣

٢٣ المصدر السابق، ص: ٣٤

٢٤ المصدر السابق، ص: ٣٦

٢٥ العبودي، محمد بن ناصر، ١٩٩٧، نظرات في شمال الهند، مكتبة الملك فؤاد: السعودية، ص: ٤١

أو مادة سمية أخرى وتموت المولودة في مدة ساعة واحدة ، والبنت التي لا تموت عن هذا الطريق تخنق فتموت، وقالت القابلة للفريق الاستطلاعي ٢٦: إننا نحصل على هذه الأعمال الوحشية مكافأة وهي خمس وعشرون روبية هندية. أن هذا التقليد الوحشي في البداية كان خاصا بطبقة راجبوت وحدها، ولكن انتشر في الأعوام الأخيرة إلى طبقات أخرى من بهومي هار، يادو، كائسته حتى البراهمة أيضا اتخذت هذا التقليد ، ما أرخص قتل الطفلة عندهم! «٢٧.

«الهند هندك ، إلى قل ما عندك»: يقول: «هناك مثل عامي نجدي (الهند هندك ، إلى قل ما عندك) أي: إذا قل ما عندك من المال فاذهب إلى الهند. أما الآن فأهل الهند ومعهم أهل السند وأهل الشرق والغرب يأتون إلى بلادنا يريدون المزيد من النقود وسبحان مقلب الأحوال»^{٢٨}.

الوحدة رغم التعددية: ومن خاصية الهند التي شرحها جميع الرحالين الذين زاروا الهند ، هي الوحدة رغم التعددية ، هذا واضح في سؤال محمد الناصر العبودي: «كيف يحافظ على وحدتهم أناس يبلغ عددهم ستمائة مليون نسمة يتكلمون عشرات اللغات منها ست عشرة لغة رسمية ويعتقدون عدة ديانات»^{٢٩}

ديموقراطية هندية خاصة: ويلاحظ ديموقراطية الهندية بقوله «ومع ذلك حافظوا عليها حتى الآن وديموقراطية لهم عجيبة رغم كل التناقضات ، ثم هم شعب فقير بل ربما يعد بعض أفرادهم من الجياع ومع ذلك يفجرون الذرة ويصنعون الطائرة، ويسعون إلى صنع الدبابة».

عادة «حرق جثة الموتى»: كما يقول عنها العبودي «أما في الهند وما يرافق الموت فإن الهند بلاد العجائب، فالهنالك الذين يعتقدون الديانة الهندوكية يحرقون موتاهم على

٢٦ وجاء في دراسة أجرتها الجمعية النسائية التي تعمل لأجل صالح الأطفال بأن فرقة من العاملات قامت بجولة استطلاعية التفت فيها بالقبالات في ولاية بهار، فأخبرتها بأنه يتم بأيديهن وأد أكثر من ألف بنت سنويا في ولاية بهار وحدها.

٢٧ العبودي ، محمد بن ناصر، ١٩٩٧، نظرات في شمال الهند ، مكتبة الملك فؤاد :السعودية ، ص: ٤٢

٢٨ العبودي ، محمد بن ناصر، ١٩٩٧، في جنوب الهند، مكتبة الملك فؤاد :السعودية . ص: ١٣

٢٩ المصدر السابق ، ص: ١٥

تفاوت بينهم في كريق الحرق فالأغنياء يوقدون على جثث موتاهم بخضب الصندل وهو خشب غال ذورائحة جيدة. أما الفقراء فإنه يكفيم الحطب العادي». «وبعد حرق الجثة يلقي رمادها في نهر الكنج المقدس، ولذلك يغتسل الأحياء بمياهه وربما يشربون منه تبركا . وإذا لم يتيسر ذلك ألقى في بعض الأنهار الأخرى المقدسة مثل نهر جمنى الذي يمر قرب مدينة دهلي أوبعثوا بالرماد لمتبقى منه بعد الحرق إلى أحد تلك الأنهار»^{٣٠}.

التفاوت بين الفقروالغنى: يلقي الكاتب الضوء إلى التفاوت في الهند بين الفقروالغنى : «وطرأت على ذهني مقولة سمعتها من خالي الذي عاش في الهند قبل ثمانين سنة وهي قوله: «إن فقير الهند فقير جدا وغنيهم غنيا جدا»^{٣١}.

الوظائف الغربية: أثناء مذكراته يشرح مرارا عن الوظائف الغربية التي شاهدها في مدن الهند ، وهذا من عادة الهنود منذ القدم لأن ابن بطوطة ذكر عن الوظيفة الذي شاهدها في الهند هي وظيفة مشردّ الذبان يطردها عن وجه السلطان ، ويضيف العبودي أيضا : «وكانما وظيفة هذا الرجل أن يمنع القروود من دخول القصر»^{٣٢}.

الرشوة: وهو يشير إلى «الرشوة» التي من أعظم المشاكل التي تواجهها الهند: «فأنت أينما توجهت في مطار بومبي (يشحذك) الضباط والموظفون وبخاصة الصغار، دون إستحياء حتى ضابط الجوازات ، وهو يمسك الجواز بيده حتى تضع فيها شيئا ولو قليل والذي يفتش الحقائب اليدوية لغرض الأمن لا يدعك تخرج حتى تخرج له من جيبك بضع روبيات هندية، وإذا لم يكن معك روبيات فليس ذلك بمشكلة لديه لأنه يقبل العملات الأخرى كالريال السعودي والدولار الأمريكي وما أشبههما من العملات الصعبة»^{٣٣}.

الموت والحياة في الهند: أما في الموت وما يرافق الموت فإن الهند بلاد العجائب، بل غرائب العجائب. فالهنداكة الذين يعتقدون الديانة الهندوكية يحرقون موتاهم على تفاوت بينهم في طريق الحرق، فالأغنياء يوقدون على جثث موتاهم بخشب الصندل وهو خشب غال ذورائحة جيدة. أما الفقراء، فإنه يكفيم الحطب العادي. وذلك يجري

٣٠ العبودي ، محمد بن ناصر، ١٩٩٧، في جنوب الهند، مكتبة الملك فؤاد : السعودية

٣١ العبودي، محمد بن ناصر، ١٩٩٧، في شرق الهند، مكتبة الملك فؤاد : السعودية .ص : ٣٨

٣٢ العبودي ، محمد بن ناصر، ١٩٩٧، راجستان بلاد الملوك، مكتبة الملك فؤاد : السعودية . ص: ٨٧

٣٣ العبودي، محمد بن ناصر، ١٩٩٧، في شرق الهند، مكتبة الملك فؤاد : السعودية

في احتفال يختلف بين الفقير والغني أيضا. وبعد حرق الجثة «يلقى رمادها في نهر الكنج المقدس إذا تيسر ذلك. ولذلك يغتسل الأحياء بمياهه وربما يشربون منه تبركا وإذا لم يتيسر ذلك ألقى في بعض الأنهار الأخرى المقدسة مثل نهر جمنى الذي يمر قرب مدينة دهلى أو بعثوا بالرماد المتبقي منه بعد الحرق الى أحد تلك الأنهار... إن هذا لمن العجب!»^{٣٤}. وطائفة أخرى من سكان الهند هم طائفة البارسي وهم بقايا من المجوس يلقون بموتاهم في بئر خاصة مهجورة فتنقض طيور جارحة هناك قد ضريت على الأكل فتأكل لحومهم ولا تترك من أجسادهم إلا العظام.

قضاء الحاجة في الأزقات: أثناء رحلته في الهند يقرّ العبودي التبول وقضاء الحاجة في الطرق والأزقات التي يمر بها الناس والمراكب. ويتذكر عما رأيت أثناء زيارة مدينة من مدنها « منظرًا تتقزز منه النفس، وهو منظر عدد من الأطفال من بنين وبنات يقضون حاجتهم في أزقة الحي تحت بصر الناس وسمعهم، فيرفعون ثيابهم إلى حلوقهم، ثم يجلسون يفعلون ذلك دونما مبالاة، مما يدل على انهم قد تعودوا عليه، وأن الناس قد تعودوا على رؤيتهم، وقد اختلط الذباب بالناس في الأزقة»^{٣٥}.

بلاد التماثيل والآلهة: ويلاحظ أن الديانات الهندوكية هي ديانة تعتقد في الوثنية، ولا تزال كذلك. فالآلهة التي يعبدونها الهنادكة فهي عديدة لا تعدها على الأصابع، حتى ان لكل إله أو مجموعة من الآلهة تماثيل خاصة بها. ويشير الكاتب إلى بعض الحقائق عنها بقوله «يقال إن آلهة الهنادكة يزيد عددها على ثلاثة آلاف، وأما الأشياء التي يقدرسونها ويعظمونها كما يعظمون الآلهة فهي كثيرة، ولكن المهم هنا أننا في أكثر المناسبات عندهم، أو الأعياد لهم نسمع بالهة لهم جديدة لم نسمع بها من قبل»^{٣٦}. ونشاهد في الهند أعداد كبيرة من التماثيل المأخوذة من المعابد البوذية القديمة ومن المعابد الهندوكية، ويقارن الكاتب بين تماثيل البوذيين والهندوكيين « يلاحظ أن تماثيل البوذيين تميل إلى الإغراء وإظهار المفاتن الجسدية للمرأة، وربما للرجل أيضا، وهي أقرب إلى ابتغاء الجمال. أما تماثيل الهندوكيين فإنها يغلب عليها القبح أو قل إنها ليس فيها إرادة الجمال أو إبراز

٣٤ العبودي، محمد بن ناصر، ١٩٩٧، في جنوب الهند، مكتبة الملك فؤاد: السعودية.

٣٥ العبودي، محمد بن ناصر، ١٩٩٧، في شرق الهند، مكتبة الملك فؤاد: السعودية. ص: ٣٧

٣٦ المصدر السابق، ص: ٦٨

كثرة استخدام الأبواق: ويرى أيضا أنه مما يزعج من طبيعة الهنود أثناء الرحلة هو كثرة استخدام الأبواق حتى في أوقات غير حاجة ، و«كل ما يأتي إلى الهند يلفت نظره كثرة استعمال السائقين لأبواق السيارات، حتى يخيل إليه أنهم يفعلون ذلك حبا في إطلاق الأبواق لسماع أصواتها، وليس من أجل الحاجة إلى ذلك ، لأنه يرى أنها تطلق في أحيان كثيرة في مواضع ليست بحاجة إلى إطلاقها ، وطالما قلت للسائقين الذين كنت أركب معهم في الهند ألا يطلقوا الأبواق لأن ذلك يزعج السائقين الآخرين ويفزع المشاة ، فكانوا يضحكون من قولي، وربما سخروا منه ، ولذلك لا يفيد لومي لهم فيستمرون على ما هم عليه». ٣٨. ولا يزال بعض الهنود يستخدمون الأبواق حينما يرى السائق أحدا على جانب الطريق يستعمل بوق سيارته تحذيرا لذلك الشخص من اختراق الطريق، «وكأنما جسم السيارة وصوت محركها الذي يكون خشنا في العادة لا يكفي لتنبيه الناس إلى وجود السيارة» ٣٩.

القعدة الهندية: ومما شاهد الرحالة العبودي من عادات الهند خاصة في أريافها القعدة الهندية ، ويلخص عنها بأقواله:«وهي جلسة خاصة أطلقت عليها من عندي هذه التسمية: (القعدة الهندية) لأنني رأيتها في الهند كلها، من كيرالا في الجنوب إلى كشمير في الشمال، وهي أن يجلس الرجل على قدميه رافعا مقعدته عن الأرض مهما استطاع كأنه يقعى إقعاء، ولا شك في أن سبب هذه الجلسة على هذه الهيئة هو كثرة الرطوبة في الأرض، وعدم نظافتها مما يمنع الجلوس جلوس المطمئن الوثائق من نظافة الأرض التي يجلس عليها، والمراد بالنظافة هنا عدم وجود ما يلوث الملابس أو يصيب الجسم بالرطوبة». ٤٠

المروور الهندية المزعج: في رأي العبودي أن من المزعجات في شوارع الهند هي بوق التنبيه والإزدحام في الشوارع والأدخنة من المراكب ، كما يلاحظها «ومن الملفت للنظر أن المروور سيئ الآن بمعنى أنه لا يخلو من زحام ، ولذلك يواصل السائق إطلاق بوق سيارته

٣٧ العبودي ، محمد بن ناصر ، ١٩٩٧ ، في شرق الهند، مكتبة الملك فؤاد: السعودية . ص: ١٥٨

٣٨ المصدر السابق ، ص: ٧٥

٣٩ المصدر السابق ، ص: ٧٥

٤٠ المصدر السابق ، ص: ٩٧

رغم كون الساعة تجاوزت العاشرة ليلاً.^{٤١} «ففي هذه الساحة شهدت أسوأ حالة مرور أذكرها في حياتي مع أنه ليس فيها حوادث مرور أصلاً. فقد أحاطت بنا حافلات نقل الركاب الضخمة من كل جانب ، وهي تنفث الأدخنة الخانقة من أنابيبها السفلى، ولم يتعودوا أن يرفعوا أنابيب الدخان المخروق (العامد) إلى أعلى السيارات الكبيرة كما نفعل نحن وغيرنا، وإنما تركوها على حالها.»^{٤٢}. ومن المزعج أيضاً «ان بعض أصحاب السيارات والعربات الركشافية أخذوا ينادون بأصواتهم لأن أبواق السيارات عندما كثرت صارت لا تلتفت السمع، فكانوا يصيحون للذين أمامهم ، وهؤلاء يصيحون أيضاً ، فزاد ذلك الأمر سوء وإرهاقا للأعصاب»^{٤٣}.

البصاق الأحمر في الأرصفة: إن الشيء الذي يستنكرهنا البصاق الأحمر الذي يرقش في الأرصفة والطرق والشوارع. «هناك بقع من البصاق الأحمر الذي يرصع الأرصفة وأراضي الشوارع في كلكتا، وهو ناشئ عن بصق الريق الأحمر الذي يفعله من يمضغ التببول، ويتفل ما يتجمع في فمه من ريق، لأن بلعه مضر بالصحة، لأن فيه أشياء مضره كالجير والتبغ إضافة إلى أوراق التببول التي تلف بها هذه المواد كلها وتوضع في الفم تمضغ معها»^{٤٤}.

إصابة الغريب بالزكام في الهند: وفي رأيه ان الزكام منتشر في الهند بغفلة الهنود لأنهم لا يستعملون المناديل أولاً يهتمون بستر الوجه عند السؤال أو العطاس، وأضاف إليه قائلاً: «وقد علمتني التجربة أنه قل من يأتي إلى الهند إلا ويصاب بالزكام»^{٤٥}

العربات التي يجرها الرجال: وان الأمر الذي يحزن الزوار في الهند هو العربات في مدنها التي يجرها الرجال حاملين الراكبين في العربات، وهذا دليل واضح لفقره وعجزه لينال الوظيفة الكافية لتعيش عائلته. يقول العبودي إن «أول ما يلاحظه زائر هذه المدينة ويثير استغرابه هو وجود الرجال الذين يجرون العربات بأنفسهم : سواء أكانت عربات

٤١ العبودي ، محمد بن ناصر، ١٩٩٧، في شرق الهند، مكتبة الملك فؤاد : السعودية . ص: ١٨٨

٤٢ المصدر السابق ، ص : ١٤٦

٤٣ المصدر السابق ، ص : ١٤٧

٤٤ المصدر السابق ، ص : ١٤٩

٤٥ العبودي ، محمد بن ناصر، ١٩٩٧، راجستان بلاد الملوك، مكتبة الملك فؤاد : السعودية . ص: ١٧

نقل الأمتعة والأحمال الثقيلة ، أم عربات ركوب الأفراد ، وهي هنا الدراجات المعتادة قد جعلوا لها عجلتين اثنتين : واحدة من اليمين ، وأخرى من اليسار، وليست كعجلتي العربة المعتادة واحدة تكون خلف الأخرى محاذية لها وغير ملاصقة»^{٤٦} . ويضيف آراءه ومشاهدته إلى وصف هذه «والعربات التي يجرها الإنسان بدلا من الحيوان، سواء منها ما كان فيها آدمي جلس فيها متربعا أو متكوما، وقد يكون من الضخام السمان، ويجره آخر يقطع به الشوارع، ويندس بين السيارات والعربات، وهو حافي القدمين، ضئيل الجسم بالنسبة إلى راكب العربة التي يجرها به مقابل مبلغ ضئيل من الروبيات، يلبسون ملابس متسخة أو مهلهلة»^{٤٧}. والملاحظات الأخرى التي أشار إليها الرحالة محمد الناصر العبودي في كتبه عن الهند هي نقص النظافة وكثرة الغراب في الهند والزيادة في استخدام التببول والإزدحام في الشوارع وكثرة الإهتمام بالزهور وغيرها.

وبالخلاصة ان هذه المقالة تبين عن منظور الرحالة العبودي عن الهند والهنود وعن الإيجابيات والسلبيات كما لاحظها من ثقافة الهند، وعن الغرائب والعجائب التي شاهدها من عادات الهنود وتقاليدهم وعقائدهم . وان ملاحظاته تدل على آراء الكتاب العرب عن أوضاع حياة الهنود. وتلقي هذه المقالة ضوء الى الإكتشافات الإجتماعية والدينية والثقافية التي علفت بالهند كما تصور مختلف جوانب الحياة في شبه القارة الهندية.

المراجع والمصادر:

١. العبودي ، محمد بن ناصر، ١٩٩٧، في جنوب الهند، مكتبة الملك فهد : السعودية
٢. العبودي ، محمد بن ناصر، ١٩٩٧، في شرق الهند، مكتبة الملك فهد : السعودية
٣. العبودي ، محمد بن ناصر، ١٤١٧هـ، في غرب الهند، رابطة العالم الإسلامي
٤. العبودي ، محمد بن ناصر، ١٩٩٧، راجستان بلاد الملوك، مطبعة الفرزدق التجارية :رياض
٥. العبودي ، محمد بن ناصر، ١٩٩٣، مقال في بلاد البنغال، مكتبة الملك فهد : السعودية
٦. العبودي ، محمد بن ناصر، ١٤٢١ هـ ، الشمال الشرقي من الهند، مكتبة الملك فهد : السعودية
٧. العبودي ، محمد بن ناصر، ١٩٩٧، نظرات في شمال الهند، مكتبة الملك فهد : السعودية
٨. العبودي ، محمد بن ناصر، ١٩٩٢، سياحة في كاشمير، مطبعة الفرزدق التجارية :رياض

٤٦ العبودي ، محمد بن ناصر، ١٩٩٧، في شرق الهند، مكتبة الملك فؤاد : السعودية . ص:١٢٣

٤٧ المصدر السابق ، ص : ١٦٦